

الدكتور طه حسين و سيرته الذاتية "الأيام" – دراسة تحليلية

دا عبد الرشيد. ب،
الأستاذ المساعد
الكلية الحكومية
تلشيري، كيرالا

الخلاصة: طه حسين كاتب و مفكر و أديب مصري كبير ، رائد من رواد الأدب المصري الحديث لقب بعميد الأدب العربي، ولد في عام 1889م في صعيد مصر، والتحق بالكتاب كحال معظم الصغار في تلك المرحلة، و انتقل بعد ذلك إلى الأزهر لمتابعة دراسة الأدب العربي والشريعة، فقد بصره في عمره الثالث، و لكنه رغم ذلك سافر إلى فرنسا وتابع دراسته هناك، وتعرف على سوزان برسو، و كانت شريكته ومعلمته، وقد توفي عام 1973م. ومن أبرز كتبه "الأيام" نشر في 1929م وعدد صفحاته 520. و دور نشره "الأهرام للترجمة والنشر"

'الأيام' من أشهر السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث. ورأى كثير من النقاد أن هذه 'القصة' أروع ما كتبه طه حسين. وفي هذا الكتاب يصف طه حسين نشأته في قريته الصغيرة بصعيد مصر كما يشرح مسيرته الحزينة التي واجهها خلال دراساته من الكتاب إلى الجامعة، وتدرجه العجيب في تحصيل العلم من الابتدائية إلى العليا. وفيه يقول طه حسين عن نفسه كمن يتكلم عن صاحب عرفه، ويتحدث عن نفسه بكلمة "صاحبنا" في محل 'أنا' وفي المرحلة الأولى في كتابه يتكلم عن حياته الريفية منذ طفولته حتى بلغ الثالثة عشرة من عمره. وفي المرحلة الثانية يذكر حياته المدنية بعد أن ترك الريف والتحق بالأزهر في القاهرة. ويقص فيه عن صباه وشبابه الأول بديعا. وكان يعرض طفولته وشبابه برقة وصراحة منقطعة النظير. وفي المرحلة الثالثة يقول طه حسين عن حياته في فرنسا.

و في الجزء الأول يعطي لنا صورة صادقة ظاهرة عن حياة الريف المصري، وهو يتحدث لنا أحداثا ممتعة عن ذكريات بيته ووالده وأسرته وأساتذته في الكتاب والمساجد وحلقات الذكر وغيرها في أسلوب جذاب مختلط بالسخرية الحادة عن عادات مصر في ذلك الوقت. وهو يقص علينا عن تنمية هذا الطفل الضريع وسط بيئته المتوسطة، ويصورنا كيف أخذ يسيطر تدريجا على صورة العالم الخارجي من حوله يرعاه حنان أبويه وسط دائرة كبيرة من الاخوة والأخوات¹. كما يشرح أنيس المقدسي هذا الكتاب مجموعة دمعته وابتسامته في سائر حياته. "ويطلعنا على حالة بيئته القديمة ويدخلنا إلى أعماق نفسه فيشعرنا بما كان يختلج فيها من الخوارج تحلو أو تمر تبعا لاختباراته وتقلبات الزمان عليه"².

¹ الأدب العربي المعاصر في مصر د/ شوقي ضيف ص: 285

² الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة- أنيس المقدسي ص: 565

و يبدأ الجزء الأول بصورة سياج كان يقوم أمامه من القصب. و يمتد عن شماله إلى حيث لا يعلم له نهايته. وكان يمتد عن يمينه إلى آخر الدنيا من هذه الناحية³. وهذه الصورة صورة جميلة، وهو من خياله وليس من الحقيقة. وهذه الصورة، تنفخ في ضمير القارئ التمهيد والنشاط في القراءة. ويشير هذا إلى خيال العالم الخارجي - وكان يشرح هذه الحوادث بصوت عذب. ويؤثر في نفس قارئه تأثيرا بعيدا، ويجذب جذبا إلى متابعته ومشاركته- ضاقت الدنيا أمامه بسبب فقد بصره ، حتى يظن أن الدنيا تنتهي بقصب السياج الممتد أمام بيته. وكتابه يشير إلينا كيف الدنيا الضيقة تقدمت وتطورت أمام هذا الصبيّ الضريير قليلا قليلا. ويشرح حنين الوالدين له. كانا يحنون عليه أكثر من اخوته، لأنه ضريير. ولكن هذا الشيء يؤذيه، لأنه لا يحب أن يكون ضعيفا. وكذلك لما علم أن اخوته يرون ما لا يرى ويعلمون ما لا يعلم صار حزينا جدا.

وعلى هذا النحو يعرض علينا طفولته ملونة بالضرورات والمشاكل الطبيعية لفقدان البصر. و لم يستطع أن يلعب مع زملائه . و كان يحب أن يسمع أحاديث الناس، و فيهم شركاء والده و والدته في حين و آخر، مما وجد فرصة لحسن الاستماع. وسمع القصص والأغاني الشعبية وتعيد النساء وحفظ الأوراد والأدعية. وفي أثناء ذلك كان يحفظ القرآن من الكتاب. هنا يشرح صورة دقيقة عن أحوال الكتاب في ذلك العهد. وكان الكتاب لا يغل شغف الطلاب العلمي ولم يكن الأساتذة ماهرين في التعليم، ثم استعده طه حسين للدخول في الأزهر. ويصف وصفا مؤثرا وفاة أخته وأخيه نزعته الكوليرا سنة 1902م. وكيفية العلاج في ذلك الوقت وشدة حزن أسرته بقول يتصل إلى أعماق قلبنا.

كما يوجد هذا التصوير الدقيق لكتاب القرية حيث حفظ فيه القرآن ويعرض علينا صورته الحقيقة بدون ستار. ويضع كل النقائص التعليمية في هذا الكتاب. ولم يستطع أن يقدم لعقله المتطلع شيئا سوى القرآن الكريم.

ويصف فيه وصفا مؤثرا أم أبويه مع آلامه لوفاة أخته. وكما يصف بصورة أليمة ومخيفة وفاة أخ من أخويه بسبب "الكوليرا" ومن عبارته عن آلامه في موت أخته: "وأصبحت الطفلة ذات يوم في شيء من الفتور والهمود لم يكده يلتفت إليه أحد. والأطفال، في القرى ومدن الأقاليم معرضون لهذا النوع من الإهمال ولا سيما إذا كانت الأسرة كثيرة العدد، وربة البيت كثيرة العمل ونساء القرى ومدن الأقاليم فلسفة آثمة وعلم ليس أقل منها إثما. يشكو الطفل، وقلما تعنى به أمه... وأي طفل لا يشكو! إنما هو يوم وليلة ثم يفيق ويبلى. فإن عنيت به أمه فهي تزدرى الطبيب أو تجهله، وهي تعتمد على هذا العلم الأثم"⁴ وأضاف " حتى إذا كان عصر اليوم الرابع وقف هذا كله فجأة. وقف وعرفت أم الصبي أن شبحا مخيفا يحلق على هذه الدار. ولم يكن الموت قد دخل هذه الدار من قبل، ولم تكن هذه الأم الحنون قد ذاقت لذع الألم الصحيح. نعم! كانت في عملها وإذا الطفلة تصيح صياحا منكرا، فتدع أمها كل شيء وتسرع إليها، والصياح يتصل ويزداد، فتدع أخوات الطفلة كل شيء ويسرعن إليها. والصياح يتصل

³ الأيام د/طه حسين ص 16

⁴ الأيام د/طه حسين ص: 99-100

ويشتد، والطفلة تتلوى وتضطرب بين ذراعي أمها، فيدع الشيخ أصحابه ويسرع إليها. والصياح يتصل ويشتد،

ما كنت أحسب أن في الأطفال ولما يتجاوزوا الرابعة قوة تعدل هذه القوة. وتأتي ساعة العشاء وقد مدت المائدة، مدتها كبرى أخوات الصبي، وأقبل الشيخ وبنوه فجلسوا إليها. ولكن صياح الطفلة متصل فلا تمد يد إلى طعام، وإنما يتفرقون جميعا وترفع المائدة كما مدت. والطفلة تصيح وتضطرب، وأمها تحدق فيها حيناً وتبسّط يدها إلى السماء حيناً آخر، وقد كشفت عن رأسها وما كان من عاداتها أن تفعل! ولكن أبواب السماء كانت قد أغلقت في ذلك اليوم، فقد سبق القضاء بما لا بد منه، فيستطيع الشيخ أن يتلو القرآن،، وإنما هو نفس خفيف شديد الخفة يتردد بين شفتين مفتحتين قليلاً، ثم ينقطع هذا النفس وإذا الطفلة قد فارقت الحياة⁵. وكذلك يصور لنا موت أخيه بوباء الكوليرا.

"كان هذا اليوم يوم 21 أغسطس من سنة 1902. وكان الصيف منكراً في هذه السنة. وكان وباء الكوليرا قد هبط إلى مصر ففتك بأهلها فتكا ذريعاً: دمر مدناً وقرى، ومحا أسراً كاملة، وكان سيدنا قد أكثر من الحجب وكتابة المخلفات، وكانت المدارس والكتاتيب قد أقفلت، وكان الأطباء ورسول مصلحة الصحة قد انبثوا في الأرض ومعهم أدواتهم وخيامهم يحجزون فيها المرضى، وكان الهلع قد ملأ النفوس واستأثر بالقلوب، وكانت الحياة قد هانت على الناس، وكانت كل أسرة تتحدث بما أصاب الأسر الأخرى وتنتظر حظها من المصيبة، وكانت أم الصبي هلع مستمر، وكانت تسأل نفسها ألف مرة في كل يوم بمن تنزل النازلة من أبنائها وبناتها! وكان لها ابن في الثامنة عشرة جميل المنظر رائع الطلعة، نجيب ذكي القلب، وكان أنجب الأسرة وأذكاه وأرقها قلباً، وأصفاها طبعاً، وأبرها بأمه، وأرفها بأبيه، وأرفقها بصغار إخوته وأخواته، وكان مبتهجاً أبداً. وكان قد ظفر بشهادة البكالوريا وانتسب إلى مدرسة الطب وأخذ ينتظر آخر الصيف ليذهب إلى القاهرة. فلما كان هذا الوباء، اتصل بطبيب المدينة وأخذ يرافقه ويقول: إنه يتمرن على صناعته حتى كان يوم 20 أغسطس⁶. ويقول لما أصاب أخاه هذا المرض. "إذا فقد أصيب الشاب ووجد الوباء طريقه إلى الدار، وعرفت أم الفتى بأي أبنائها تنزل النازلة. لقد كان الشيخ في تلك الليلة خليقاً بالإعجاب حقاً. كان هادئاً رزيناً مروعاً مع ذلك، ولكنه يملك نفسه وكان في صورته شيء يدل على أن قلبه مفطور، وعلى أنه مع ذلك جلد مستعد لاحتمال النازلة. أوى ابنه إلى حجرته وأمر بالفصل بينه وبين بقية إخوته، وخرج مسرعاً فدعا جارين من جيرانه، و ما هي إلا ساعة حتى عاد ومعه الطبيب.

وفي أثناء ذلك كانت أم الفتى مروعة جلدة مؤمنة تعني بابنها، حتى إذا أمهله القيء خرجت إلى الدهليز فرفعت يدها ووجهها إلى السماء وفنيت في الدعاء والصلاة، حتى تسمع حشرجة القيء فتسرع إلى ابنها تسنده إلى صدرها وتأخذ رأسه بين يديها، ولسانها مع ذلك لا يكف عن الدعاء والابتهال.⁷

⁵ الأيام د/طه حسين ص: 99- 102

⁶ الأيام د/طه حسين ص: 103-104

⁷ الأيام د/طه حسين 105-106

ويختم الجزء الأول مناديا بابنته الصغيرة. وكانت في التاسعة من عمرها، وكان طه أستاذا في الجامعة ويقولها بكلمات ملؤها حنان الأبوة، وفي هذا الفصل لم يستعمل الكلمة 'صاحبنا' ليشير إلى نفسه بل استعمل "أبوك" كما هو يتحدث لابنتها الصغيرة. كما يشرح حياته و تجربته وحزنه وآماله وأحلامه، وكان يشرحها عن القدر القليل من الطعام الذي ناله من الأزهر و لذته. وفي هذا الفصل يتكلم من تجاربه تاركا كل سخرية. وهو يقول في هدوء و وقارة لها كما يلي.

إنك يا ابنتي لساذجة سليمة القلب طيبة النفس. أنت في التاسعة من عمرك، في هذا السن الذي يعجب فيها الأطفال بأبائهم وأمهاتهم ويتخذونهم مثلا عليا في الحياة: يتأثرون بهم في القول والعمل، ويحاولون أن يكونوا مثلهم في كل شيء، ويفاخرون بهم إذا تحدثوا إلى أقرانهم أثناء اللعب، ويخيل إليهم أنهم كانوا أثناء طفولتهم كما هم الآن مثلا عليا يصلحون أن يكونوا قدوة حسنة وأسوة صالحة⁸. ويضيف طه حسين عن ابنته "فإن سألتني كيف انتهى إلى حيث هو الآن؟ وكيف أصبح شكله مقبولا لا تقتحمه العين ولا تزدريه؟ وكيف استطاع أن يهيأ لك ولأخيك ما أنتما فيه من حياة راضية؟ وكيف استطاع أن يثير في نفوس كثير من الناس ما يثير من حسد وحقده وضغينة، وأن يثير في نفوس ناس آخرين ما يثير من رضى عنه وإكرام له وتشجيع؟ إن سألت كيف انتقل من تلك الحال إلى هذه الحال، فلست أستطيع أن أجيبك! وإنما هناك شخص آخر هو الذي يستطيع هذا الجواب، فسليه يبنئك.

أتعرفينه؟ انظري إليه! هو هذا الملك القائم يحنو على سريرك إذا أمسيت لتستقبلي الليل في هدوء ونوم لذيذ، ويحنو على سريرك إذا أصبحت لتستقبلي النهار في سرور وابتهاج. ألسنت مدينة لهذا الملك بما أنت فيه من هدوء الليل وبهجة النهار! لقد حنا يا ابنتي هذا الملك على أبيك، فبدله من البؤس نعيفا، ومن اليأس أملا، ومن الفقر غنى، ومن الشقاء سعادة وصفوا.

ليس دين أبيك لهذا الملك بأقل من دينك. فلتتعاوننا يا ابنتي على أداء هذا الدين. وما أنتما ببالغين من ذلك بعض ما تريدان.⁹ وبهذا الكلمة تنتهي المرحلة الأولى.

وهو يتحدث لابنته أنه لا يستطيع أن يصرح بكل الأحداث التي وقعت له في حياته. وقوله "أستطيع أن أحدثك به دون أن أثير في نفسك حزنا، ودون أن أغريك بالضحك واللهم"¹⁰ ويقول لنا أنه لا يريد أن يكون موضع سخريتها من ناحية ولا موضع شفقتها من ناحية أخرى. وإذا أدركنا أن المؤلف لا يتوجه بكتابه إلى ابنته وحدها، وإنما يتوجه به إلى المجتمع¹¹. وهو لا يحب أن يكون عرضة لسخرية المجتمع و شفقاتهم، وإنه كان يخفى في كتابه أن يصبح موضع عطف أحد أو سخريته.¹² ولذلك كان حريصا أن لا يظهر ضعفه أمام المجتمع ولم يستعد ليعترف بعد بالضعف الإنساني. وهنا نرى طه حسين رجلا ذا خبرة وتجارب. وكان يتحدث إلينا في هذه الصدد في ضوء تجاربه غير متأثر بالعواطف.

⁸ الأيام د/طه حسين ص: 117

⁹ الأيام د/طه حسين ص: 121

¹⁰ الأيام - 1 د/طه حسين ص 142

¹¹ تطور الرواية العربية الحديثة في مصر د/ عبد المحسن طه بدر ص: 303

¹² تطور الرواية العربية الحديثة في مصر د/ عبد المحسن طه بدر ص: 303

وفي الجزء الثاني نراه يتبع أخاه إلى الأزهر للدراسة القديمة. وفي هذه المرحلة كان يجلس في الأزهر إلى جانب عمود من أعمدته. ويستمتع لواحد من الشيوخ. ووصف لنا الصعوبات التي واجهها هناك من أخيه الذي في الأزهر. وكما يصف أيامه في الأزهر كأنما كان يحمل في عقله آلة تصوير دقيقة، ويمكن القول أن التجارب من الأزهر هو واحد من العناصر التي شكلت شخصية طه حسين بعد ذلك. وهذه التجارب ساعدته أن يواجه الصعوبات والجدال من علماء الأزهر فيما بعد. وكان يشرح تناول الطعام في عرفته مع أخيه وبعض من أصدقائه. وهو جالس بينهم مطرقا إلى الأرض ومنحنا ظهره حتى صار كأنه قوس. ويقول "والصبي مطرق منحني في مكانه. يقدم له نصيبه من الشاي في صمت، فيشر به مترفقا في صمت أيضا. وهو يلحظ ما يجري حوله، ويسمع ما يقال حوله، فيفهم منه قليلا ويعجزه أكثره عن الفهم، ولكنه يعجب بما فهم وبما لم يفهم ويسأل نفسه متحرقا متى يستطيع أن يقول كما يقول هؤلاء الشباب وأن يجادل كما يجادلون"¹³. وهنا نرى أنه قد رغب أن يتكلم ويتجادل مثلهم. كما نفهم من هذا القول أنه يأمل أن يكون مشهورا بين أصدقائه و لو بشيء من ترهات العمل. وهذه الحالة النفسية هي التي أحستها لعرض رأيه الخطير ضد الإسلام والنبي والعهد الجاهلي. ونراه يشير إلى الصمت السائد بينه وبين أخيه حين يحاول شرح صحبته إياه. وكان لم يحب الصمت. ولكن أخاه لم يتكلمه في الطريق، وكذا أمام الطعام. و لم يحب أن يكون وحيدا في غرفته حين كان أخوه وأصدقائه يذهبون من غرفة إلى غرفة. وكان يحب كل هذه الأشياء. وكان لا يحب أن يطلب من أخيه شيئا. وكان يترفع عنه ونراه يقول " لا يستطيع أن يطلب ذلك؛ فأبغض شيء إليه أن يطلب إلى أحد شيئا. ولو قد طلب ذلك إلى أخيه لرده عنه ردا رفيقا أو عنيفا، ولكنه مؤلما له، مؤذ لنفسه على كل حال. فالخير في أن يملك على نفسه أمرها"¹⁴. وهذا الجانب أيضا مساهم في صياغة شخصيته.

ولما سمع أصوات أخيه وزملائه وضحكاتهم أثارت في نفسه الرغبة والرغبة. ومن الأمل واليأس، ويملاً قلبه بؤسا وحزنا¹⁵. وكان يفهم أنه لا يستطيع كما يفعلون. وهنا فهم طه حسين أن حياته مملوءة بالحزن والكآبة. ولكن لم يكن ضعيفا ولا متشائما كما تصير العامة. و أشار طه حسين في ذاتيته إلى أنه مستطيع أن يقطع الطريق متمهلا و مستأنيا. ولكنه يستحي أن يفاجئه أحد المارة فيراه وهو يسعى متمهلا مضطرب الخطي¹⁶. ولكن ما كان يحب أن يرى هذا العمل أهد. ومعناه أن ثقته بالنفس قوية وإن كان الحياء فيه. ويقول "وكان كل شيء أهون على الصبي من أن يفجأه أخوه وهو يسعى مضطربا حائرا: فيسأله: ما خطبك؟ وإلى أين تريد؟ فكان إذن يرى الخير في أن يبقى في مكانه ويؤثر العافية"¹⁷. وكان يثقل عليه سؤال أخيه و الجواب عنه أكثر من العمل .

حتى رأى صوت المؤذن من جامع بيبرس منكرا أشد النكر وهو بائس أن لا يستطيع لذهابه إلى الخارج. وفي الأخير كان بقلب مضطرب "إن العلم ليكلف طلابه

13 الأيام د/طه حسين ص 152

14 الأيام د/طه حسين ص ص: 7 15

15 الأيام د/طه حسين ص 157

16 الأيام د/طه حسين ص 157

17 الأيام د/طه حسين ص 158

أهوالا ثقالا¹⁸. ولكن لما أعلن أخوه أنه لن يكون في غرفته وحيدا وسيحضر ابن خالته هناك طالبا للعلم صار مسرورا جدا. وبعد ذلك كان يحب الحياة في القاهرة، ونرى علامته في عزمه أن يكون في القاهرة في العطلة القادمة.

وفي الجزء الثاني يحدثنا عن سكنه ومطعمه و صحبته بالأزهر ودروسه فيها. وينقل إلينا صورة دقيقة عن الحياة العلمية فيه حينئذ من الصلاح والفساد. وفي العطلة كان يعود إلى بلده بأراء جديدة في الدين كما قال في الأيام "ولكن صاحبنا سمع أباه يقرأ دلائل الخيرات كما كان يفعل دائما إذا فرغ من صلاة الصبح أو من صلاة العصر. فرفع كتفيه وهز رأسه ثم ضحك. ثم قال لآخوته: إن قراءة الدلائل عبث لا غناء فيه"¹⁹. وأضاف قائلا لأبيه "وتعلمت في الأزهر أن كثيرا مما تقرأه في هذا الكتاب حرام يضر ولا ينفع، فما ينبغي أن يتوسل إنسان بالأنبياء ولا بالأولياء، وما ينبغي أن يكون بين الله وبين الناس واسطة، وإنما هذا لون من الوثنية"²⁰. وهذه الآراء سببت إنكار الناس عليه. وقال بعضهم لبعض: إن هذا الصبي ضال مضل، قد ذهب إلى القاهرة فسمع مقالات الشيخ محمد عبده الضارة وآراءه الفاسدة المفسدة. ثم عاد بها إلى المدينة ليضل الناس²¹. وبعد رجوعه إلى الأزهر بدأ يجادل الشيوخ ويتعمق في الاعتراضات والأجوبة. ويتجه إلى الأدب ودروس الشيخ سيد المرصفي. وأخذ ينقد شيوخ الأزهر وأفكارهم نقدا عنيفا، ورموه بالكفر والإلحاد. ولكن لم يضعف ولم يهن بهذه الأشياء. وبدأ يقرأ كتب قاسم أمين وغيره من المجددين. و ينشر آراءه في جريدة لطفي السيد. ولم يكن رأيه عن المشايخ في الأزهر جيدا. لأنه سمع كثيرا من حكايات عنهم من أخيه وأصدقائه. وهذه الحكايات تشير إلى جهلهم ونقص معاملتهم وأخلاقهم. ولذا كان يرى أن الخير كل الخير في أن يجد ويجتهد ويحصل ما استطاع من العلم معرضا عن مصادره التي كان يستقيه منها"²². واشتد ضيق طه بالأزهر وأهله وبحياته في القاهرة.

ولما انشئت الجامعة المصرية كان ينتسب إليها ويذهب إلى دروسها ممسيا. فوجد للحياة طعما جديدا. واتسع افقه عن طريق ما سمعه من الجامعة عن المستشرقين وغيرهم. وعكف على هؤلاء الأساتذة ومحاضراتهم. وكادت تنقطع الصلة بينه وبين الأزهر كما يشرح في الأيام "وإذا الفتى يستأنف حياة لا صلة بينها وبين حياته القديمة إلا أنه كان ربما ألم بالأزهر مرة في الأسبوع أو في الأسبوعين، وإلا أنه كان ربما لقي أصدقاءه من الأزهريين حين كانوا يسعون إلى الجامعة بين حين وحين. وإلا أنه كان يزور الشيخ المرصفي من وقت إلى وقت"²³.

وكان طه يقطع الصلة بينه وبين الأزهر في دخيلة نفسه وأعماق ضميره، لكنه ظل مقيدا في السجلات وقطع تلك الصلات نهائيا حين انقطع رجاء أبيه في تحصيله منها. وإلى هذا الحد يختم طه حسين الجزء الثاني من الأيام. وهذا الجزء يعطينا صورة الأزهر وصحنه وعلومه وأسلوب تعليمه. و يشرح الضيق الذي يواجهه

¹⁸ الأيام د/طه حسين ص 160

¹⁹ الأيام د/طه حسين ص 245 –

²⁰ الأيام د/طه حسين ص 245

²¹ الأيام د/طه حسين ص: 248

²² الأيام د/طه حسين ص 255

²³ الأيام د/طه حسين ص: 304

لتحصيل العلم من الأزهر. ونراه يختم الجزء الثاني مناديا ابنه كما نادى ابنته حين ختم الجزء الأول، وكان ابنه يذهب لطلب العلم وحيدا إلى باريس بعد اتمام دراساته في جامعة القاهرة كما كان يطلبه من قبل. ويقول له " وها أنت ذا يا بني تهجر وطنك ومدينتك ودارك وتفارق أهلك وأصدقائك، وتعبر البحر في سنك هذه الصغيرة لتطلب العلم وحيدا في باريس.

فدعني أهدى إليك هذا الحديث لعلك ترتاح إليه بين حين وحين إذا أجهدك درسك ووجدت في اللاتينية واليونانية مشقة أو عناء. هنالك ترى لونا لم تعرفه من ألوان الحياة في مصر، وتذكر شخصا طالما ارتاح إلى قربك منه، وطالما وجد في جدك وهزلك لذة لا تعدلها لذة، ومتاعا لا يعدله متاع²⁴.

وفي الجزء الثالث يشرح عن حياته في الجامعة المصرية إشارة إلى الأساتذة العربية والمستشرقين. وكذا سقوطه في امتحان الأزهر وبعد حصوله على الدكتوراه من الجامعة أرادت الجامعة أن تبعثه إلى فرنسا. وبعثت إلى مدينة مونبلييه. وقد استمر في الدراسة هناك وسمع منها من دروس الأدب والتاريخ واللغة الفرنسية. وقد فتحت أمامه هذه المدينة عالما جديدا في مجال العلم والفكر. ولكن اضطر أن يعود إلى مصر. وفي السنة التالية رجع إلى باريس في نفقة الجامعة مرة أخرى.

وهذا الجزء تعطينا صورة جميلة عن حياته في باريس وعلاقاته لسوزان، المرأة الفرنسية التي صارت بعد ذلك زوجته، ومساعدتها لكسب العلوم من فرنسا. وفي هذا الجزء يقول طه حسين عن استعداداته للرسالة عن ابن خلدون لنيل الدكتوراه من الجامعة. ورجوعه مع زوجته سوزان وابنته آمنة إلى مصر. وفي الفصل الأخير يشرح الكاتب إغراقه في السياسة.

وفي هذا الكتاب استعمل طه حسين أسلوبا بارعا يمس القلوب ويثير العواطف بما فيه من سلاسة وعضوبة وصفاء وقدرة على التصوير والتلوين. و يروع السمع و القلب في وقت واحد. وفي صوته يوفر كل جمال ممكن كما أنه تعمق في المعاني بصور عديدة مختلفة متنوعة. و وفر لأسلوبه كل ما يستطيع من جمال صوتي. و أتاح لهذا الجمال تعبيرا طبيعيا عن نظراته وتحليلاته²⁵.

المصادر والمراجع:

► الأدب العربي المعاصر في مصر - ضيف، شوقي - الناشر دار المعارف، 1992م

► الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة- المقدسى، أنيس ، الناشر: دار العلم للملايين، June

2000

► الأيام - حسين، طه، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1992م

► تطور الرواية العربية الحديثة في مصر - بدر، عبد المحسن طه، الناشر: دار المعارف الطبعة

الخامسة

²⁴ الأيام د/طه حسين 306

²⁵ الأدب العربي المعاصر في مصر - الدكتور شوقي ضيف ص: 287